

الأقسام في القرآن

(45) التوحيد في الربوبية والتوحيد في الألوهية، وفسّروا الآول بالتوحيد في الخالقية، بمعنى الاعتقاد بأنّ للكون خالقاً واحداً؛ وفسروا الثاني بالتوحيد في العبادة، بمعنى أنّه ليس في الكون إلاّ معبود واحد؛ ولكنّهم اخطأوا في كلا الاصطلاحين. أمّا الآول؛ فلأنّ التوحيد في الربوبية غير التوحيد في الخالقية، فإنّ الخالقية شيء والتدبير والاصلاح شيء آخر، واللّه سبحانه وإن كان خالقاً ومدبراً لكنّه لا يكون دليلاً على وحدة المفهومين في الخارج. فالعرب في عصر الجاهلية كانوا موحدين في الخالقية، وكان منطق الجميع، ما حكاه سبحانه بقوله: (وَلَدَيْنَا سَاءَ لَتْهْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) . (1) وفي الوقت نفسه لم يكونوا موحدين في الربوبية، يقول سبحانه: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) (2) فكانوا يعتقدون بأنّ العزّة والتدبير من شؤن المدبر، قال سبحانه: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُّونَ) (3). فكانوا يرون أنّ النصر بيد الالهة، خلافاً للموحد في أمر التدبير، فهو يرى أنّ العزّة والنصر بيد الله سبحانه: قال تعالى: (فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) (4) وقال تعالى: (وَمَا الذِّمَّةُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (5) إلى غير ذلك من الآيات الحاكية عن توغّلهم في الشرك في أمر التدبير. _____ 1 - الزخرف:9. 2 - مريم:81. 3 - يس:74. 4 - فاطر:10. 5 - آل عمران:126.